IUG Journal of Islamic Studies
Peer-reviewed Journal of Islamic University-Gaza
E-ISSN: 2410-5201
P-ISSN: 2410-8715
IUGJIS
Vol 33, No 1, 2024, pp 19 - 36

Received on (18-01-2025) Accepted on (10-05-2025)
https://doi.org/10.33976/IUGJIS.33.1/2025/2

The Position of German Orientalists on the Quranic Text
A Comparison between Bergsträsser and Rudi Paret

Hasan Ali Abed Al- Dulaimi[*1], Prof. Dr. Abdullah Ahmed Al-Zuyout[*2]
PhD student / University of Jordan[*1], Prof. Dr. / University of Jordan
*Corresponding Author: Anbar_h2009@yahoo.com

Abstract:

This study aimed to clarify the position and approach of German Orientalists regarding the Qur'anic text by comparing the views of two prominent figures in German Orientalism: Bergstrasser and Rudi Paret. The researchers used inductive, descriptive, and comparative approaches. Due to its nature, the study was divided into an introduction, a preface, three chapters, and a conclusion. The researchers addressed the position of each orientalist individually, followed by a systematic comparison between them.

The study reached several findings, the most notable of which is a clear convergence in the approaches of the two orientalists, as well as similarities in their upbringing, education, and positions held. This confirms their institutional support and that they both proceed according to well-thought-out plans.

The researchers recommended a focus on orientalist studies by calling for the use of a scholarly project for university theses, launched by the Department of Interpretation and Qur'anic Sciences at one of the Islamic universities and colleges.

Keywords: Orientalism - German Orientalism, Bergstrasser - Rudi Paret.

موقف المستشرقين الألمان من النص القرآني
مقارنة بين بيرجشستراسر، و رودي بارت

حسن علي عبد الدليمي [1]، أ.د عبد الله أحمد الزيوت [2]
قسم أصول الدين- كلية الشريعة- الجامعة الأردنية [1,2]

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى بيان موقف المستشرقين الألمان، ومنهجهم حول النص القرآني من خلال مقارنة بين آراء أبرز شخصيتين في الاستشراق الألماني هما بيرجشستراسر، ورودي بارت، استعمل فيها الباحثان المنهج الاستقرائي، والوصفي، والمقارن، وقد اقتضت طبيعتها أن تكون مقسمة إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، تناول فيها الباحثان موقف كل مستشرق منهما منفرداً، ومن ثم المقارنة المنهجية بينهما.

وقد توصَّلاَ إلى جملة من النتائج لعل أبرزها وجود تقارب واضح في منهج المستشرقَين، فضلاً عن التقارب في النشأة والتعليم وتولّي المناصب، مما يؤكد الدعم المؤسسي لهما، وأنهما يسيران وفق خطط مدروسة.

وأوصى الباحثان بضرورة التركيز على الدراسات الاستشراقية من خلال الدعوة إلى تبنّي مشروع علمي في الرسائل الجامعية، يطلقه قسم التفسير وعلوم القرآن في إحدى الجامعات والكليات الإسلامية.

كلمات مفتاحية: الاستشراق- الاستشراق الألماني، بيرجشتراسر- رودي بارت.

مقدمة:

الحمد لله منزل القرآن، وملهم البيان، والصلاة والسلام على النبي العدنان، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين، وبعد: فإن ما صدر عن المستشرقين الألمان حول العلوم الاستشراقية كثيرة ومتنوعة، كما هو الحال عند غيرهم من المستشرقين، والقرآن الكريم أحد هذه المجالات أو العلوم التي تعرّض لها هؤلاء المستشرقون، وهي على تنوعها نابعة من فكر ودراسة مستفيضة، ومنهج له أهدافه وغاياته ونتائجه..

وتسعى هذه الدراسة إلى استنباط منهج المستشرقين الألمان حول القرآن الكريم من خلال تحليل آرائهم المتنوعة، والمقارنة بينها، وتركزت على شخصيتين بارزتين متقاربتين في الزمان والمكان، والكلام عن المستشرقين: بيرجشستراسر، ورودي بارت، لذا جاءت هذه الدراسة بعنوان: "**موقف المستشرقين الألمان من النص القرآني– مقارنة بين بيرجشستراسر، ورودي بارت**".

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة بالآتي:

1_ أنه يتناول موضوعاً له ارتباط مباشر بأفضل كتاب عرفته البشرية جمعاء، وهو القرآن الكريم.

2_ يعدّ مرحلة لفهم المنهج الاستشراقي الألماني وتحديد آلية التعامل معه.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة على السؤال الرئيس الآتي:

ما موقف المستشرقين الألمان من النصّ القرآني؟

ويتفرع عنه الأسئلة الآتية:

1_ ما المنهج الذي اتبعه بيرجشستراسر في آرائه حول النص القرآني؟

2_ ما المنهج الذي اتبعه رودي بارت في آرائه حول النص القرآني؟

3_ هل هناك اتفاق فكري منهجي حول القرآن الكريم في الاستشراق الألماني؟

أهداف الدراسة:

1_ التعرف على موقف المستشرقين الألمان من النص القرآني.

2_ دراسة المنهج الاستشراقي الألماني من خلال آراء محددة حول النص القرآني.

3_ المقارنة بين آراء وتوجهات أبرز شخصيتين في الاستشراق الألماني، هما بيرجشستراسر، ورودي بارت.

الدراسات السابقة:

في الظاهر بدا للباحثين الكثير من العناوين التي تناولت الاستشراق الألماني، وأغلب الدراسات متشابهة في الشكل والمضمون، ولم يجدا –بحدود اطلاعهما– على دراسة تحليلية مقارنة تناولت المستشرقين بيرجشستراسر ورودي بارت، إنما وجد دراسات تحدّثت عنهما في جوانب محددة. وبشكل منفرد، ومن أبرزها:

_ دراسة جحا، ميشال خليل، وعنوانها: "**الاستشراق الألماني في القرن العشرين**"، وهي دراسة بسيطة أشبه بالمقال، منشورة في الجامعة الأردنية، سنة2001م، تحدّث فيها عن ملامح الاستشراق الألماني في القرن العشرين، وقد أفاد الباحثان منها في الاطلاع على تلك الملامح، خاصة وأن المؤلف (جحا)، هو من تلاميذ رودي بارت، وقد أكثر من التبجيل بالاستشراق الألماني.

_ دراسة هيباوي، عبد الملك، وعنوانها" "**الدراسات الألمانية في الفكر الاستشراقي**"، وهو بحث أصدره المؤلف المدرّس في معهد العلوم الشرعية الإسلامية في جامعة توبنجن في ألمانيا تحدّث فيها عن الترجمات الألمانية، وقد أفاد الباحثان منها ما يتعلق بترجمة رودي بارت للقرآن الكريم.

_ **دراسة قطاط،** فريد، ترجمة رودي بارت لمعاني القرآن– دراسة تقويمية، وهو بحث منشور في جامعة الزيتونة –تونس، تناول فيه الباحث ترجمة رودي بارت لبعض النصوص القرآنية، وقد أفاد الباحثان منها ما يتناسب مع هذه الدراسة.

وتميّزت هذه الدراسة عن ما سبق في تحليل آراء بيرجستراسر ورودي بارت حول النص القرآني، والمقارنة بينها من خلال استنباط المناهج المتبعة في آرائهما.

ما تضيفه الدراسة:

1_ الدراسة في سيرة وحياة أبرز المستشرقين الألمان وأشهرهم لمعرفة مدى التوافق بينهما.

2_ معرفة المنهج المتبع في التعامل من النص القرآني من خلال عرض وتحليل الآراء.

3_ إثبات أو نفي فكرة (الموضوعية) على الاستشراق الألماني.

حدود الدراسة: المقارنة بين المستشرق الألماني بيرجشستراسر، ومواطنه المستشرق رودي بارت.

منهجية الدراسة:

استعمل الباحثان في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي، وذلك باستقراء البعض من آراء المستشرقين الألمان، ثم المنهج الوصفي بالنظر في هذه الآراء، وتحليلها، واستنباط منهجهم حول النص القرآني، ثم المنهج المقارن، في مقارنة الآراء للوصول إلى نتائج تخدم الدراسة.

خطة الدراسة:

اقتضت طبيعة الدراسة أن تكون مقسمة إلى تمهيد ومقدّمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة: وفيها الأهمية، والأهداف، والمشكلة، والمنهجية، والدراسات السابقة، المتعلقة بهذه الدراسة.

تمهيد: القرآن الكريم والاستشراق الألماني.

المبحث الأول: النص القرآني في منهج بيرجشستراسر.

المطلب الأول: التعريف بالمستشرق بيرجشستراسر.

المطلب الثاني: منهج بيرجشستراسر في التعامل مع النص القرآني.

المبحث الثاني: النص القرآني في منهج رودي بارت.

المطلب الأول: التعريف بالمستشرق رودي بارت.

المطلب الثاني: منهج رودي بارت في التعامل مع النص القرآني.

المبحث الثالث: المقارنة في التقارب والمقاييس العلمية.

المطلب الأول: التقارب في السيرة والأهداف.

المطلب الثاني: المقاييس العلمية الدينية ومدى تطبيقها.

ثم الخاتمة التي تضمن أبرز النتائج.

تمهيد

القرآن والاستشراق الألماني

طالما كان الاستشراق أداة لتشويه الدين الإسلامي وإلصاق التهم والشبهات فيه، وكان الدور الأكبر في هذا الأمر للكنيسة التي كانت تشعر بمرارة حقيقية تجاه المد الإسلامي واتساع الحضارة الإسلامية، إذ أنشأت من أجل ذلك مؤسسات في البلاد العربية لخدمة الاستشراق في الظاهر، وخدمة الاستعمار والتبشير في الباطن.

ومن هنا برز الدافع الديني للاستشراق، حيث رغب النصارى في تنصير المسلمين، من خلال القيام بأعمال وأنشطة تبشيرية، ولتحقيق هذا الدافع كان إقبال المستشرقين على تعلم اللغة العربية وآدابها، ليتم لهم قراءة العلوم الإسلامية، والتعرف على مبادئ الإسلام، ومصادره وشعوبه، ووضع الخطط والتصورات المناسبة لتشكيك المسلمين في دينهم، وتشويه صورته أمامهم[1].والقرآن الكريم من أكثر ما تعرّض له المستشرقون في شبهاتهم... هذا على الصعيد العام.

أما الاستشراق الألماني على وجه الخصوص فكثيراً ما تحدّثت عنه الدراسات بأنه بعيد عن الدوافع والأهداف العدائية، بل اعتبرته مميزاً عن غيره بعدم ارتباطه بالاستعمار الذي سيطر على عالمنا الإسلامي، بالإضافة إلى تميّزه بعض الأحيان بالموضوعية.

فما طبيعة التعامل مع القرآن الكريم عند المستشرقين الألمان؟ وهل بالفعل هم متميزون عن غيرهم، وبعيدون عن الدوافع العدائية؟

هذه الدراسة ليست بصدد ردّ شبهات، أو تفنيد نصوص، إنما هي عملية تحليلية مقارنة لآراء أهم المستشرقين الألمان، وهي خاصة ببعض الآراء حول النصّ القرآني.

كما أنها ليست بصدد بيان المناهج العامة في الشبهات؛ بل في بيان منهجية عرض الآراء، ولعلّ سبب إطلاق مصطلح (التميّز) على الاستشراق الألماني يكمن في هذه النقطة.

المبحث الأول

النص القرآني في منهج بيرجشستراسر

أقبل الكثير من رموز الاستشراق وشخصياته سواء اللغويون أو المؤرخون أو الفلاسفة على تحقيق ودراسة نصوص القرآن الكريم منطلقين من غايات دينية أو استعمارية أو علمية، والدارس يلاحظ امتعاض أغلبهم من الإسلام من خلال آرائهم، ومن بين المستشرقين: الألماني بيرجشستراسر، والذي سيكون محور هذا المبحث، وعلى مطلبين اثنين على النحو الآتي:

المطلب الأول

التعريف بالمستشرق بيرجشستراسر

بيرجشتراسر (Bergstrasser) هو مستشرق ألماني بارز وُلد عام (1886م) بضاحية من ضواحي مدينة (بلاون) بسكسونيا، وقيل في ميونيخ بألمانيا، وكان أبوه وجده قسيسين في كنيسة البروتستانت[2].

يُعد من أشهر المستشرقين الألمان الذين درسوا التراث الإسلامي، خاصة في مجال الدراسات القرآنية واللغة العربية[3]، والتحق بجامعة (لايبزيغ) سنة (1904م)، ونال شهادة التدريس في اللغات والتاريخ الإسلامي عام (1908م)[4]، ثم اشتغل مدرّساً

---

[1] محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ص:33.

[2] ينظر: الزركلي، الأعلام، ص:143. و بيرجشستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، ص:6.

[3] ينظر: بيرجشستراسر، مقدمة أصول نقد النصوص ونشر الكتب، ص:6. و العقيقي، المستشرقون، ج:2، ص:1–2.

[4] ينظر: العقيقي، المستشرقون، ج:2، ص:747.

بمدرسة ثانوية النظام القديم في سكسونيا إلى أن نال شهادة الدكتوراه برسالة في النحو العربي بعنوان "استعمال الحروف النافية في القرآن" سنة (1911م)[5]. عمل أستاذًا في الجامعات الألمانية، منها جامعة لايبزيغ، وجامعة ميونخ، وانتخب عميداً لكلية الآداب سنة (1928م)[6]، وتولى تحرير المجلة الألمانية للدراسات السامية[7]. قام برحلات متعددة إلى الشرق الإسلامي، شملت الأستانة وسوريا وفلسطين ولبنان ومصر، وعمل أستاذاً في الجامعة التركية، واستقدمته الجامعة المصرية (القاهرة) لإعطاء محاضرات في التطور النحوي للغة العربية[8]، إلى أن أصبح أبرز الأساتذة الذين تولوا التدريس في الجامعات المصرية[9].

له مؤلفات كثيرة جداً في اللغة واللهجات والفقه والدراسات القرآنية والتاريخ، منها: معجم قراء القرآن وتراجمهم، وتاريخ قراءات القرآن، والجزء الثالث من تاريخ القرآن- ويعد من أهم كتبه في هذا المجال-، توفي سنة (1933م)، في ظروف غامضة خلال حادث أثناء تسلق الجبال، ويقال إن هتلر القائد الألماني المعروف هو من دبّر له مكيدة الموت[10].

المطلب الثاني

منهج بيرجشستراسر في التعامل مع النص القرآني

القارئ للجزء الثالث من (تاريخ القرآن)، والذي كتبه بيرجشستراسر مكمّلاً ما بدأه مواطنه نولدكه، يجد فيه – أي الكتاب- الكثير من المعاداة للقرآن الكريم، فهل كانت آراء كاتبه قائمة على منهجية علمية منضبطة، أم أن لها أبعاداً حددت المنهجية المناسبة لتناول آيات القرآن الكريم؟ سيظهر الجواب من خلال الآتي:

أولاً: يقول بيرجشستراسر تحت عنوان: "أخطاء النص العثماني": "اعترف المسلمون منذ زمن طويل بأن نص القرآن الذي أصدرته اللجنة التي عينها عثمان لم يكن كاملاً على وجه الإطلاق ويوجد بين أيدينا عدد من الروايات التي أخذت على هذا النص أخطاء مباشرة. ومن أشهر ما وردنا أن عثمان نفسه اطلع على النسخ التي أنجزها الكتاب وجد فيها حروفاً من اللحن، وأنه قال: "لا تغيروها، فإن العرب ستعربها بألسنتها، لو كان الكاتب من ثقيف والممل من هذيل لم يوجد فيه هذه الحروف"[11].

الملاحظ أنه ابتدأ رأيه بأمرين لهما أثر في مجال إثبات الرأي والإقناع به، وهما:

1- **إثارة الانتباه بعنوان بارز وحكم مسبق**، بقوله: (أخطاء النص العثماني).

2- **ابتداء القول بلفظ يسهّل من التسليم والإقناع**، بقوله: (اعترف المسلمون).

وهو بذلك قد خالف المنهجية العلمية، فصادر النتيجة قبل البحث العلمي، وقبل إيراد الأدلة والتحليل والمناقشة.

ثانياً: في مثال آخر في آراء بيرجشستراسر حول النص القرآني، نجده يستعمل ذات المنهجية وذات الأسلوب، فيقول بعد أن ساق بعض الروايات: "ما يؤخذ على النص هنا هي المآخذ اللغوية، وفي مواضع أخرى توجد مآخذ من حيث المحتوى"[12]. وقال

---

[5] ينظر: بيرجشستراسر، التطور النحوي، ص:3.

[6] ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص:85.

[7] ينظر: العقيقي، المستشرقون، ج2:، ص:747.

[8] بيرجشستراسر، مقدمة أصول نقد النصوص ونشر الكتب، ص:6.

[9] جحا، الاستشراق الألماني في القرن العشرين، ص:257، و بدوي، موسوعة المستشرقين، ص:85.

[10] ينظر: الزركلي، الأعلام، ج:2، ص:143.

[11] الجزء الثالث من تاريخ القرآن، ج:3، ص:443-444، والأثر الذي ذكره بيرجشستراسر رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص:278. ورواه غيره كثير. وهو أثر ضعيف كما بيّن الداني في المقنع في رسم مصاحف الأمصار: ص:115.

[12] نولدكه، تاريخ القرآن، ج:3، ص:444.

أيضاً: "وإذا لم يسع المرء إلى التغيير، ولم يستطع إنكار ما يثير الاستياء في النص، فإن الحل الوسط المتبقي هو أن يقرأ القارئ غير ما كتب، ويبدو أن هذا هو رأي أصحاب الروايات المذكور أعلاه"[13].

في هذا الرأي استعمل منهج التشكيك باللغة والمحتوى، فهو هنا يزرع في نفس القارئ ما سمّاه بـ (الاستياء)، ثم يعود ليضع الحل بحسب مفهومه، إن تعذر إنكار ما يثير هذا الاستياء، مع إسناد هذا الحل (المزعوم) إلى أصحاب الروايات.

ثالثاً: في حديثه عن الروايات يحاول بيرجشستراسر زيادة الجرعة في التشكيك بالنص القرآني، حيث قال: ".. تقوم هذه الروايات كلها على فهم النص العثماني على أنه معطى، ولا يمكن تغييره حتى ولو كان خطأ"[14].

وقال: "أغلب المتأخرين لم يرو هذا المخرج متوافقاً مع تبجيلهم للكتاب العزيز، لذا فإنهم لم يتمسكوا فقط بالنص العثماني كتابة ونطقاً، بل اجتهدوا بقناعة متزايدة من أجل إثبات الإمكانيات المتنامية لتوحيد النص مع مطالب اللغة والمعنى"[15].

والمتأمل في كلامه هذا يلحظ الآتي:

1- استعمل لفظ (كلها) على الروايات حتى يثبت أن جميع الروايات متفقة على المفهوم الخاطئ بحسب رأيه.
2- استعمل لفظ (فهم النص) للإشارة أن الخلل حاصل في طريقة فهم النص العثماني.
3- استعمل لفظ (معطى) التي تشير إلى شيء مُسَلّم به بصفته حقيقة لا تقبل النقاش، أي: مقدّس، بمعنى أن المسلمين تعاملوا مع النص العثماني للقرآن كوثيقة نهائية غير قابلة للمراجعة حتى لو احتوى–حسب زعمه– على اخطاء ناتجة عن عملية الجمع أو النسخ، فهو في استعماله لهذا المصطلح ينفي فكرة الحفظ الإلهي للقرآن، ويعتبر أن النص العثماني مجرد نسخة بشرية قابلة للخطأ.
4- استعمل عبارات التشكيك بما يفيد الإقناع بقوله: "لا يمكن تغييره حتى ولو كان خطأً" فهو يقرر بخطأ النص القرآني.
5- أشار إلى ما سمّاه بـ (المخرج) وهو الحل بحسب رأيه.
6- أشار إلى أن علماء المسلمين في العصور المتأخرة – بسبب تقديسهم للقرآن– لم يقبلوا مجرد الالتزام بالنص العثماني رسماً وقراءةً، بل ذهبوا أبعد من ذلك محاولين إثبات أن هذا النص يتوافق بشكل كامل مع قواعد اللغة العربية والدلالات والمعاني، وكلامه هذا قد وقع تحت التحليل النقدي الآتي:

- افترض أن هناك تناقضاً بين النص العثماني ومتطلبات اللغة، بينما الحقيقة أن النص القرآني هو المؤسس لأعلى معايير اللغة العربية.
- ما سمّاه "اجتهاداً متزايداً" هو في الحقيقة عمل علمي منهجي استُنبط من خلاله أوجه القراءات والأحكام والدلالات اللغوية.
- من سقطاته أنه لم يستشهد بأمثلة على ما يقول، ولم يذكر أحداً من العلماء. فالعلماء لم يخترعوا توافقاً، بل اكتشفوا الحكمة من رسم المصحف العثماني الذي حافظ على القراءات المتواترة، والأوجه اللغوية، والدلالات والأحكام والمعاني.
- ما يعتبره "محاولة لتوحيد النص مع اللغة" هو في الحقيقة كشف عن إعجاز القرآن الذي جمع بين ثبات النص ومرونته اللغوية، وهو ما أدركه العلماء عبر قرون من الزمن.

7- الخلاصة في آرائه وأقواله إشارة إلى وجود مشكلة قائمة حول النصّ القرآني، وهو مما يزيد فرص الإقناع بما يقول.

---

[13] المصدر السابق، ج:3، ص:445.
[14] المصدر السابق، ج:3، ص:445.
[15] المصدر السابق، ج:3، ص:446.

ادّعى بيرجشستراسر أن في النصّ القرآني ما لم يتوافق مع اللغة، وأن النحاة ردّوا بعض القراءات وخطّئوا أصحابها، حيث قال قبل إيراد بعض القراءات القرآنية: "وعلى أي حال رفض النحويون القراءات التالية بصراحة..."[16] وقال عن قراءة: (عسيتم)[17] في قوله تعالى: **(فهل عسيتم)** [البقرة: 246]: "فهذه القراءة نصّ أكثر من عالم لغوي (نحوي) على أنها لغة أخرى"[18].

واستعمال جملة (على أي حال) استدراكية، توحي بأهمية ما يأتي بعدها، وهو لفظ (الرفض)، وهذه من الأساليب التي لا تقلّ شأناً عن سابقاتها في محاولة إثبات الرأي، وتحقيق الغايات.

وبمثل ذلك جاء الرأي حول غسل الأرجل، والقراءة المتواترة في الآية، حيث قال: "...وفي كلا الأمرين انتصرت تعاليم الفرائض والعقيدة، مثال ذلك سورة المائدة حيث النص: **(فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين)** [المائدة:6]، والمطلوب هنا هو الاكتفاء بمسح الأرجل. وفي وقت مبكر فضل المرء تطبيقاً أكثر صرامة يستوجب غسل الأرجل. وجد هذا التوجه طريقه إلى القرآن عندما قرئت الكلمة عنوة (وأرجلكم) وامسحوا برؤوسكم كإضافة... وكانت مدارس الفقه المشهورة أكدت أن الغسل فريضة"[19].

فهو يرى أن تعاليم الفقه والعقيدة لها تأثير على توحيد النص القرآني، أو التفضيل بين القراءات المتواترة أو رد بعضها.

المبحث الثاني

النص القرآني في منهج رودي بارت

تعامل رودي بارت مع النصّ القرآني من جانبين:

الأول: في تفسيره لبعض الآيات القرآنية في كتابه (محمد والقرآن).

والثاني: في ترجمته القرآن الكريم للغة الألمانية، والتي عُدّت كأفضل الترجمات، كونها اتسمت بالدقة والموضوعية والأمانة.

وفي هذا المبحث يحاول الباحثان عرض نماذج من شبهاته في الجانبين، ومعرفة المنهج المتبع، ويكون ذلك على مطلبين، أولهما في عرض نبذة عن المستشرق وحياته، والثاني في دراسة منهجه من خلال النصوص الواردة.

المطلب الأول

التعريف بالمستشرق رودي بارت

رودي بارت (Rudi Paret) هو مستشرق ألماني بارز، عُرف بإسهاماته في الدراسات الإسلامية، وخاصة دراساته وترجماته المتعلقة بالقرآن الكريم، وُلد في سنة (1901م)، ويعد من الشخصيات الرائدة في الاستشراق الألماني خلال القرن العشرين، وكان أبوه راهباً على مذهب البروتستانت، فهو "ينحدر من أسرة يكثر فيها القساوسة المسيحيون"[20].

درس اللغات السامية والعلوم الإسلامية في جامعات ألمانية مرموقة، وركّز بشكل خاص على اللغة العربية والتراث الإسلامي، وتمكن من الحصول على شهادة الدكتوراه سنة (1924م)، بعد مناقشة أطروحة بعنوان: "سيرة سيف بن ذي يزن"، وتحت إشراف المستشرق الألماني الكبير إنو ليتمان، وكان عمر "بارت" آنذاك ثلاثاً وعشرين سنة[21]، ثم أمضى مدة قضاها في

---

[16] نولدكه، تاريخ القرآن، ج:3، ص:564.

[17] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2:، ص:230.

[18] النحاس، إعراب القرآن، ص:325، و أبو حيان، البحر المحيط، ص:570.

[19] نولدكه، تاريخ القرآن، ج:3، ص:577.

[20] بدوي، موسوعة المستشرقين، ص:62.

[21] هويدي، الاستشراق الألماني: تاريخه، واقعه، توجهاته، ص:75.

البحوث والتحقيقات العلمية بمصر، حسبما أفاد به تلميذه ويليام أ. جراهام في مقالته التي كتبها تكريماً له بعد فترة وجيزة من وفاته[22].

تدرّج في السلم العلمي والوظيفي، حتى ارتقى إلى رتبة أستاذ كرسي للدراسات الشرقية بجامعة بون سنة (1941م)، وقد ذكر عبد الرحمن بدوي في هذا الصدد أن رودي بارت "انخرط في خدمة الجيش سنة (1941م)، وعمل في جيش رومل في ليبيا، وأسر في سنة (1942م)، وظل في الأسر حتى سنة (1946م)"[23].

من مؤلفاته: محمد والقرآن، السيرة النبوية، و القرآن، ورمزية الإسلام، بالإضافة إلى التحقيق الذي أنجزه حول معنى المفردة القرآنية "الصمد" من سورة الإخلاص.

توفي بمنزله في مدينة توبنجن في (1983م)، في سن الثانية والثمانين من عمره.

المطلب الثاني

منهج رودي بارت في التعامل مع النص القرآني

ادّعى "بارت" أن ضمن المشابَهات بين ما عمله النبي محمد صلى الله عليه وسلّم وبين ما عند اليهود (وهم أصحاب السبق بالسكن بالمدينة بحسب ما يشير في حديثه)، صلاة الجمعة، وهذا الادّعاء قد طغى على تفسيره للنص القرآني :**(يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع..)** [الجمعة: 9]. فقال: "...صلاة الجمعة التي أقيمت بالمدينة لأول مرة من جانب المسلمين قبل مجيء النبي إليها، وقد كان المقصود بها أن تماثِل السبت عند اليهود. أما النبي محمد فيروى أنه أقام صلاة الجمعة عشية وصوله إلى المدينة"[24].

ثم فسّر النص القرآني: **(حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين)** [البقرة: 238]. بأنها صلاة الظهر، ليثبت تأثر القرآن بالتوراة، حيث قال: ".. ثم إن الراحة ومنع العمل يقتصران على وقت إقامة الصلاة ، ولا يمتدّان على مدى اليوم كله، فقد أراد النبي أن يتزامل مع الدين اليهودي لا أن يذوب فيه. وفي الاتجاه الآخر ما كان للنبي أن يطمح بأن يترك اليهود دينهم ويعتنقوا الإسلام، بل كان المطلوب أن يدعوا الإسلام وشأنه، وأن يعترفوا بمحمد باعتباره نبياً للعرب، كما كان هو على استعداد للاعتراف باليهودية باعتبارها ديانة موحاة. فالآية تتحدث عن "الصلاة الوسطى" والتي رفعت عدد الصلوات إلى ثلاثٍ إذ ذاك ينبغي تفسيرها بأنها صلاة الظهر، لأنها تقع بين صلاتي الفجر والعشاء، وهو عدد الصلوات اليهودية في اليوم"[25].

ويقف الباحثان هنا وقفة حول المنهج والأسلوب المتبع من "بارت" في ترسيخ فكرته من خلال آرائه المشبوهة، فقد استعمل الآتي:

1- الإشارة إلى أن بيئة المدينة هي بيئة يهودية، ومحمد صلى الله عليه وسلّم وأصحابه ورسالته دخلاء عليها.
2- الإشارة إلى الأمان الذي وجده محمد صلى الله عليه وسلّم في بيئة اليهود ما لم يجده عند أهله وعشيرته، مما يعني أنهم أصحاب فضل عليه.

---

[22] نقلاً عن: قطاط، ترجمة رودي بارت لمعاني القرآن– دراسة تقويمية، ص:106.
[23] بدوي، موسوعة المستشرقين، ص:62.
[24] بارت، محمد والقرآن، ص:188.
[25] بارت، محمد والقرآن، ص:88-89.

3- أرجع الفروقات بين الدين الإسلامي واليهودي إلى عدم رغبة النبي صلى الله عليه وسلّم في أن ينخرط ويذوب فيه، ولتأكيد فكرة التأثر، استعمل لفظ (الزَمالَة)، وأن النبي أراد أن يتزامل مع الدين اليهودي، ومعلوم أن الزملاء يتأثر أحدهما بالآخر، فالدخيل أولى بالتأثر من الأصيل.

4- وضع الإسلام في صورة الضعيف الذي يتأمل من اليهود (تركه وشأنه) على حد قوله.

5- صوّر الديانة اليهودية هي الأصل، والإسلام دخيل، بل ومستعد للاعتراف باليهودية باعتبارها ديانة موحاة، ومقصودهُ أن الديانة الإسلامية غير موحاة.

6- الصلاة الوسطى هي الصلاة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: **(حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين)** [البقرة: 238]. لكن هناك اختلاف بين العلماء في تحديد الصلاة التي يقصدها القرآن بـ "الصلاة الوسطى"، والرأي الأكثر شيوعاً هو أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، وذلك بناءً على ما ورد في الأحاديث الشريفة التي تشير إلى أن الصلاة الوسطى هي الصلاة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على أدائها في الوقت الذي قد يشهد فيه المسلم مشقة أو غفلة. فقد روي عن علي رضي الله عنه قال: لمّا كان يوم الأحزاب، قال رسول الله صلى الله غليه وسلم: "**مَلَأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَاراً، شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ**"[26].

ولكن هناك أيضاً آراء أخرى تقول إن الصلاة الوسطى قد تكون صلاة الفجر أو الظهر، اعتماداً على تفسير بعض العلماء[27]. وسواء كانت الصلاة المقصودة هي العصر أم الظهر فهذا لا دخل لليهود فيه لأن هيئات الصلات المذكورة لم تفرض إلا على المسلمين بكيفيتها وتوقيتها .

هذه الإشارات كلها أساليب منهجية مصاغة بعبارات تخدم الفكرة والمقرر السابق، وهو تأثر النص القرآني بالتوراة، فاحتاجت هذه الفكرة إلى سنوات من التعلّم والسفر والاجتهاد، واحتاجت إلى تنوع الأساليب اللغوية والإشارات المبطنة والظاهرة لتسويقها وانتشارها.

ويستمر "بارت" في منهج (ليّ عنق النص)، ليوافق ما يصبوا إليه، ففي حديثه عن دعوة الهدى والقضاء والقدر لمّح إلى أن مفهوم الهدى الذي جاء به القرآن ما هو إلا ردّة فعل من النبي محمد صلى الله عليه وسلّم وهي من تأليفه، فإن ما رآه من عناد قومه وعدم إصغائه لكل ما قاله، واستمرار ذلك لفترة طويلة جعل من الضروري من أجل الفهم والتسويغ، ربطه بالتدبير الإلهي للعالَم والناس، وبتاريخ الهداية وتجاربها.... ويربط هذا المفهوم بأن المعنى الأصلي للنص القرآني: **(لا إكراه في الدين)** [البقرة: 256]، أن أحداً لا يستطيع إكراه أحد على الإيمان بالله، لا أنه ليس من حق أحد أن يُكره أحداً على ذلك**!**[28].

وكأنه في استعمال لفظة (يستطيع) يشير أيضاً إلى حالة الضعف عند النبي صلى الله عليه وسلّم وأصحابه، وعدم استطاعتهم على إكراه أحد.

---

[26] أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، ج:3، ص:1071، حديث رقم (٢٧٧٣). ومسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الدليل لِمَن قال الصلاة الْوُسطَى هي صلَاة الْعصر، ج:1، ص:436، حديث رقم (٦٢٧).

[27] ينظر: النووي، المجموع شرح المهذب، ج:3، ص:60.

[28] ينظر: بارت، محمد والقرآن، ص:176.

ومما يلفت النظر تعليق (مترجم الكتاب[29]) على ما ورد من تفسير رودي بارت لهذه الآية، حيث قال: "لست أدري كيف توصل المؤلف إلى هذا الاستنتاج الذي لا مسوّغ له، وهو مخالف حتى لمنطق الكاتب نفسه. فالله سبحانه رب القضاء والقدر يقرر من ضمن قضائه وقدره أنه لا يمكن لأحد إرغام أحد آخر حتى على اعتقاد صحيح مثل الإيمان بالله"[30].

ويمكن أن يُفسّر استغرابه هذا على أمانته ودقّته في الترجمة، فهو ليس بصدد الدفاع، وردّ كلام المؤلف، فلا يملك في هذا المقام إلا إثارة الاستغراب للتنبيه. وفيه إشارة على أنه مخالف لمنطق الكاتب!! مما يعني أن الهدف واضح، والخروج عن المنطق أسلوب ومنهج.

وفي مثال آخر من كتاب: محمد والقرآن، تناول "بارت" موضوع تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، حيث صوّره كاستغلال للمكانة الدينية، في حين أن التعدد كان عرفاً اجتماعياً سائداً منذ القِدم وحتى العصر الحديث، فيشير "بارت" إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج إلا بزوجة واحدة في مكة قبل الهجرة، ثم تزوج بعد الهجرة بعدة نساء بلغن ثلاث عشرة. ويركّز على نقطتين رئيستين: زواجه من زينب بنت جحش بعد طلاقها من متبنّيه زيد بن حارثة، مشيراً إلى أنه طلقها عندما علم أن النبي يريدها، والنقطة الثانية تجاوز العدد المسموح به للزواج مع إعطاء نفسه امتيازات خاصة– وفقاً لما يزعمه– سوّغها له القرآن[31]، قال ذلك مستشهداً بقوله تعالى: **(فلمّا قَضَى زيدُ منها وَطَرَاً زوّجناكها لِكي لا يكونَ على المؤمنينَ حَرَجٌ في أزواجِ أدعيائهم إذا قَضَوا منُهُنَّ وَطَرَاً)** [الأحزاب: 37].

وهذا افتراء واضح على شخص النبي صلى الله عليه وسلم، فمعلوم أن معظم زيجات النبي صلى الله عليه وسلم كانت لأسباب إنسانية كرعاية الأرامل، واجتماعية كتوثيق الروابط بين القبائل، وسياسية كإقامة التحالفات. أما زواجه من زينب بنت جحش فقد كان الطلاق بناءً على رغبة زوجها وقراره، فلعلّه جاء تطبيقاً عملياً لنسخ التبنّي حيث أقرّ الإسلام بطلان التبنّي وأباح الزواج من زوجة المتبنّي، فليس فيه امتيازات شخصية أو استغلال للمكانة الدينية، إنما لمصالح شرعية[32].

فهو يعتمد منهج التشكيك في النص القرآني، ويوجه إلى ذلك من خلال كتاباته التي تحمل الأباطيل والافتراءات، حيث يقول: "وعلينا أن نقتنع بأن القرآن لم يقدّم لنا شيئاً ذا بال عن الأربعين سنة الأولى من حياة النبي، وفيما عدا ذلك ليس أمامنا إلا التخيّل لقراءة ما بين السطور"[33].

وبالعَودِ إلى تفسير "بارت" للآيات، يشير الباحثان إلى أنه يعرف تماماً التفسير الحقيقي لها، إلا أنه حرّفه بطريقة توافق غايته وأهدافه، وهذا الأمر يقودنا للانتقال إلى ترجمته للقرآن الكريم، والتي ذاع صيتها الواسع في مجال الاستشراق، لمعرفة ما إذا كان التحريف موجوداً في ترجمته للنص القرآني أم لا؟

قيل عن ترجمة بارت للقرآن الكريم بأنها تميّزت عن سواها من الترجمات العديدة التي وضعت في أوروبا، وأنه حرص على أن يكون عمله علمياً وأقرب ما يكون من الدقّة والأمانة في نقل المعاني القرآنية من العربية إلى الألمانية، وأنه حين تعترضه كلمة يشكل عليه فهمها على الوجه المقصود، أو لا يطمئن إلى قدرته على تحديد معناها باللغة الألمانية فإنه يثبتها بنصّها العربي كما وردت في الآية الكريمة ولكن بالحروف اللاتينية ليفسح بالمجال أمام القارئ لأن يتوصل بنفسه إلى إعطائها المعنى الذي يراه ملائماً لسياق الكلام من دون أن يفرض عليه وجهة نظره الشخصية[34].

---

[29] هو رضوان نايف السيد أحمد، كاتب ومفكر ومترجم سعودي من أصل لبناني، أستاذ الدراسات الإسلامية بالجامعة اللبنانية منذ سنة 1978م، وله مؤلفات وترجمات كثيرة جداً.

[30] حاشية ص:176 من كتاب: محمد والقرآن، رودي بارت.

[31] بارت، محمد والقرآن، ص:254.

[32] ينظر: دبوسي، الرسالة المحمدية وارتباطها بالقرآن الكريم في عيون رودي بارت، ص:63.

[33] بارت، محمد والقرآن، ص:39.

[34] ينظر: جحا، الاستشراق الألماني في القرن العشرين، ص:260–261.

يبدو أن ما قيل عنه لم يكن دقيقاً، وفيما يأتي بعض من ترجماته:

أولاً: في القضايا العقدية ذات الصلة بعصمة الأنبياء، وعلم الله تعالى بأفعال العباد، والجبر والاختيار ترجم رودي بارت لمعنى قول الله سبحانه: **(وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب)** [الحديد: 25]، بالآتي:

"Auch Gott Wollte (…) festellen (w., wissen) wer ihm und seinen Gesandten im geheimen hilft".

المعنى: أراد الله أن يكتشف و(أن يعرف) من يساعده في الخفاء ويساعد رسله.

ويذكر مسعود منصوري[35] أن المعنى الذي تنتجه هذه الترجمة هو أن الله يريد أن يحصل له العلم بمن ينصره ورسله سراً وخفية، وقد تؤدي هذه الترجمة إلى شبهة القول بأن علم الله محدود، ولو أن رودي بارت استفاد من الفعل lassen، وهو فعل يفيد السببية، لاستقام المعنى[36].

ثانياً: من الآيات التي ترجمها رودي بارت على غير معانيها الحقيقية، قول الله تعالى: **(فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك)** [هود: 12] ، حيث ترجمها بالآتي:

"Vielleicht mochtest du etwas vam, was dir eingegeben wird, auslassen".

المعنى: ربما تريد أن تهمل شيئاً مما أعطي لك.

وقد يتوهم من يقرأ هذه الترجمة أيضاً أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يرغب في ترك بعض ما أوحاه الله إليه، بكتمانه وعدم تبليغه، وقد أكد رودي بارت نفس هذا المعنى الذي ذهب إليه في الترجمة ضمن الجزء الثاني الذي دون فيه ملاحظاته التوضيحية حول هذه الترجمة[37]، ويتنافى هذا الأمر مع عقيدة عصمة النبي محمد في مقام تبليغ الرسالة، بل إنه يناقض كلياً اعتقاد المسلمين قاطبة في سلامة القرآن من الزيادة والنقصان[38].

ثالثاً: ترجمته كلمة الأميّ في قوله تعالى: **(الذين يتبعون الرسول الأميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل)** [الأعراف: 175]، بلفظ: (Heidnischen) وتعني (الوثني) أو (الكافر):

"(denen) die dem Gesandtem dem heidnischen Prophetem folgern den sie bei sich in der finden…" [39]Thora und im Evangelium verzeichnet

وكرّر نفس الترجمة في الآية الأخرى: **(فآمنوا بالله ورسوله النبي الأميّ)** [الأعراف: 158].

وبالرجوع إلى أقوال المفسرين الذين اعتمد "بارت" على تفاسيرهم[40] نجد انه خالفهم الرأي في معنى الأميّ، فالطبري يقول: "الأميّ.. هو نبيّكم صلى الله عليه وسلّم كان أميّاً لا يكتب"[41]، والبيضاوي يقول: "الأميّ الذي لا يكتب ولا يقرأ، وصفه به تنبيهاً على أن كمال علمه مع حاله إحدى معجزاته"[42].

---

[35] – هو باحث متخصص في نقد تراجم معاني القرآن إلى اللغة الألمانية وتقويمها.

[36] منصوري، تأملات في بعض مواطن القوة والضعف في ترجمة رودي بارت للقرآن الكريم، ص:69.

[37] Paret, R,; Kommentar und Konkoradanz, Stuttgart 1977, zu betroffenem Vers.

نقلاً عن المصدر السابق نفسه.

[38] نقلاً عن المصدر السابق نفسه.

[39] بارت، ترجمة (القرآن) ص:121.

[40] اطّلع "بارت" في ترجمته اطلاعاً وافياً على تفسير الطبري في أجزاءه الثلاثين المطبوع في القاهرة عام 1903م في عشرة مجلدات، وعلى تفسير البيضاوي في مجلدين طبعة (ليبزج) سنة 1846، وكان حريصاً على الاستفادة منها. ينظر: العفاني، وا محمداه إن شانئك هو الأبتر، ج:3، ص:153.

[41] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج:13، ص:163.

[42] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج:3، ص:37.

وهذه دلالة على عدم أخذه بأقوال المفسرين مما يخالف توجهه، على الرغم من الاستعانة بمصادرهم في كثير من المسائل.

المبحث الثالث

المقارنة في التقارب والمقاييس العلمية

بعد عرض الآراء لكلا المستشرِقَين وتحليلها بحسب الاستعمال اللغوي، والأحكام المسبقة لا بدّ من مقارنة بينها وإظهار المنهج المتبع، وهل هو منهج علمي رصين كما ادّعت الكثير من الدراسات العربية على وجه الخصوص، أم أنه مشابه لمنهج المستشرقين الآخرين؟ وسيكون ذلك على مطلبين، وعلى النحو الآتي:

المطلب الأول

التقارب في السيرة والأهداف

يلحظ القارئ المتفحص لسيرة المستشرِقَين الألمانيين بيرجشستراسر، ورودي بارت وجود تقارب في النشأة، والتعليم وصولاً إلى السفر والارتحال، وانتهاءً بالتوجه نحو الكتابة حول القرآن الكريم، فضلاً عن البيئة الواحدة.

فمن حيث النشأة عاش المستشرقان في فترة زمنية واحدة، وهو العصر الحديث، ثم إن الأول كان من عائلة فيها موروث القساوسة، إذ كان أبوه وجده قسيسين في كنيسة البروتستانت، والثاني كان أبوه على نفس المذهب، فالعائلتان متجذرتان بالكنيسة، وتحت إشراف قساوستها ورهبانها، بما يعني أن المستشرق ابن بيئته وأسير أفكارها، فالمستشرقان كانا تحت رعاية الكنيسة.

تشابَهَ خطّ السفر والترحال بين بيرجستراسر وبارت، فالرحلة نحو الشرق كان مقرّها الرئيس مصر، حيث الاندماج والتعلم والتبحر بعلوم الشرق، لا سيما علوم اللغة والقرآن، كما تشابهت حركة الانتقالات العلمية السريعة في المدارس والجامعات، وكذلك تقاربت المدة الزمنية في الحصول على شهادة الدكتوراه، فالأول نالها وهو بعمر الخامسة والعشرين، والثاني بعمر الثالثة والعشرين، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على رعاية مؤسسية قائمة على منهج مدروس، وإلا فما الذي منعهما أو أحدهما من التأثر بمن درسوا عندهم من أهل مصر، وفي جامعاتها المعتبرة!!

إن الرعاية المؤسسية هي محور التقارب في الأهداف، إن كانت استعمارية أو دينية أو علمية أو غير ذلك، والمتتبع للاستشراق الألماني بصورة عامة، وسيرة بيرجشستراسر وبارت على وجه الخصوص يجد أنهما عاشا في بيئة زمنية استعمارية، كان الأول من أشد الكارهين لهتلر ومنهجه الاستعماري، ومن شدّة عدائه لهتلر بعث إليه الأخير من يُسقطه من جبل شاهق لتنتهي حياته[43]، والثاني عمل ضابطاً في الجيش الألماني وشارك مع (رومل– ثعلب الصحراء) في الحرب العالمية الثانية في صحراء ليبيا سنة (1942م)، وأسر على يد قوات التحالف بقيادة أمريكا[44]. ومما يثير التعجّب والاستغراب أن غالب الدراسات العربية التي تتناول الاستشراق الألماني تصرّح بأنه بعيد كل البعد عن التوجه الاستعماري والأهداف الاستعمارية!.

ومن الجانب الديني فإن دور الكنيسة واضح في الإساءة للإسلام والقرآن، لتتحدد أهداف الاستشراق الألماني بشكل واضح، فهي على الصعيد المؤسسي تجعل من المستشرقين مشروعاً استعمارياً وتبشيرياً يحمل في طياته السوء والطعن والتغيير للحقائق، من أجل نشر دياناتهم المحرّفة تحت رعاية الكنيسة، ومحاربة انتشار الإسلام عبر ذلك التشويه[45].

---

[43] ينظر: الزركلي، الأعلام، ج:2، ص:143.

[44] ينظر: جحا، الاستشراق الألماني في القرن العشرين، ص:261.

[45] المولى، القرآن الكريم في الفكر الاستشراقي، ص:301.

وما سبق لا يمنع أن يكون الجانب العلمي ضمن تلك الأهداف، فالحضارة العربية الإسلامية تعدّ عمدة النهوض بالحضارة الأوربية وباكورة تقدمها، حيث حرص المستشرقون على دراسة علوم الشرق الإسلامي، ومنجزات الحضارة الإسلامية[46]، والتعمق في بواطن تلك الحضارة ولغاتها وآدابها[47]، وقد تخصصت مجموعة من المستشرقين ومن بينهم بيرجشستراسر وبارت بالقرآن الكريم وتاريخه، واهتموا به وبدراسته دراسة مستفيضة[48]، وهذان المستشرقان كانا أقل أخطاء إذا ما قيموا بجمهرة المستشرقين الآخرين، وترجع الكثير من الدراسات السبب في قلة أخطائهم – قياساً بغيرهم– يعود إلى الطابع العلمي الذي سلكوه[49]، حيث يرى بارت: "أن منتصف القرن التاسع عشر الميلادي أصبح الاستشراق فيه علماً ويعمل بدوافع علمية بحته في عموم أوروبا، وأن المستشرقين قد تخلصوا من الآراء القديمة وتنقية الاستشراق من الشوائب الدينية والاستعمارية"[50]، والدارسين للاستشراق يعرفون أن قول "بارت" هذا ينطوي على كثير من المبالغة لأننا نجده من الدوافع القديمة ولاسيما الدينية ما زال لها تأثير كبير في دراسات قسم من المستشرقين[51]. بل إن ما قاله بارت مناقض تماماً لما سلكه في كتابه "محمد والقرآن" وفي ترجمته القرآن الكريم للغة الألمانية.

المطلب الثاني

المقاييس العلمية الدينية ومدى تطبيقها

في المقارنة بين الآراء التي أوردها الباحثان عن المستشرقين بيرجشستراسر ورودي بارت ينبغي التنبه إلى عدم استنادها على منهج علمي رصين في التعامل مع النص القرآني وتفسيره، فآراء بيرجشستراسر كانت مبنية على حُكم مسبق يقضي بأن القرآن من صنع البشر، فجعل آراءَه خادمة لهذا المقرر، وعمل وفق منهج وأساليب متنوعة، لغوية وفكرية وروايات، وسّوّق لها بمنهج إعلامي مستند على الاتصال الكتابي، قائم على:

- جذب الانتباه، وإثارة الاهتمام.
- خلق الرغبة في التفكير بما يقول والتشكيك بالنص القرآني.
- الإقناع بالفكرة المستندة على الأدلة (الباطلة).
- العمل على تثبيت الشبهة في ذهن المتلقي.

وبهذا المنهج أراد وضع بصمة نفسية إعلامية تحقق الغاية والهدف[52].

أما موقف "بارت" فلم يختلف عن مواطنه بيرجستراسر في تعامله مع النصّ القرآني، مع أنه قد ذاع صيته واشتهر اسمه، وتحدثت الكثير من الدراسات عن أمانته والتزامه بالمنهج العلمي الرصين، وقيل إن أخطاءه غير مقصودة، بل هي ما يحصل أحياناً للبشر بوجود عذر معين كعدم فهم النص–على سبيل المثال لا الحصر– وهذا ما انقدح في ذهن الباحثين للوهلة الأولى.

ومن خلال قراءة كتابه (محمد والقرآن) يستكشف القارئ حجم الطعن والإساءة للإسلام والقرآن، فهو يحرّف النص بحسب أهوائه وبما يخدم مقرره السابق من أن القرآن من عمل البشر، وهو ما سلكه بيرجستراسر قبله، إلا أنه زاد عليه تأثر القرآن بالتوراة، ويفسر النصوص القرآنية بما يخالف المنطق، وما تم إيراده في المبحث السابق إلا نموذج يشابهه الكثير.

---

(46) آل حميد، أهداف الاستشراق ووسائله، ص:6.

(47) النملة، الاستشراق والدراسات الإسلامية، ص:132.

(48) الغزالي، تطور الاستشراق البريطاني في كتابة السيرة النبوية الشريفة، ص:43.

(49) السباعي، الاستشراق والمستشرقون وما لهم وما عليهم، ص:21.

(50) بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص:17.

(51) ينظر: المولى، القرآن الكريم في الفكر الاستشراقي، ص:297.

(52) ينظر: شفيق، سيكولوجية الإعلام، ص:177.

وفي ترجمة القرآن تجدر الإشارة إلى أنه لا تكاد تخلُ ترجمة ألمانية للقرآن الكريم من مقدمة عن هذا الكتاب المبين خاصة وعن الإسلام عامة. وقد احتوت كثير من هذه المقدمات وخاصة ما نشر منها حتى بداية القرن العشرين ادعاءات بأن القرآن من وضع محمد صلى الله عليه وسلّم[53]. وهذا أمر ينطلق من قناعة مخالفة لقناعة المسلمين.

وهذه الادعاءات أخرجت هؤلاء المستشرقين من دائرة الموضوعية والمقاييس العلمية الدينية، وهم الذين اجتهدوا وأفنوا أعمارهم بالدراسة والتعلم والسفر والاهتمام بالحضارة الإسلامية والعلوم الاستشراقية والدراسات الإسلامية!!

ركز "بارت" وبقوة على التشكيك بالمصدر الإلهي للقرآن الكريم، فوصل الى نتيجة من أجل إقناع جمهوره من الدارسين وعامة الناس، جازمين بأن القرآن الكريم هو كلام النبي عليه الصلاة والسلام وهو – أي القرآن – يمثل ثمرة معاناة محمد ٍ عليه الصلاة والسلام النفسية ويعكس الصراع والتطور النفسي له[54].

وفي الحديث عن المقاييس العلمية يورد الباحثان شروطاً من مستشرق ألماني حول ترجمة النص القرآني، والبحث في ترجمة بارت عن مدى تطبيقها.

فقد ضبط المستشرق (جوزيف فون هامر[55]) حسب ما روته عنه (آنا ماري شيمل[56])، شروطاً ومقاييس علمية دينية للتعامل مع النص القرآني من أهمها:

1- أن تحذو الترجمة حذو النص الأصلي.
2- مراعاة سحر اللغة.
3- محاكاة شكل الخطاب والإيقاع في القرآن، ويعنى ذلك النص، ووزنه، وتأثيره.
4- موقف مترجم معاني القرآن من نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، بمعنى الاشتراط بألا يكون المترجم منتمياً إلى التيار المتحامل على مقام النبوة[57].

فهل كانت ترجمته خاضعة للمقاييس العلمية الدينية؟ وهل أخذ في اعتباره أن القرآن دستور الإسلام أولاً، وذروة البيان العربي ثانياً؟، وهل نظر إلى الإعجاز البياني في القرآن باعتباره ليس قريحة بشرية، بل لا بد أن يكون هذا الإعجاز ناتجاً عن كون القرآن وحياً من الله؟

والجواب بسؤال: كيف لمترجم مشكك بنبوة محمد صلى الله عليه وسلّم أن يترجم النص المثبت للنبوة؟

بل كيف لمترجم يدّعي تأثر القرآن باليهود أن يترجم النصوص التي تخالف ادعاءه؟

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن الاستشراق الألماني لم يكن مختلفاً عن غيره في موقفه من النص القرآني، وأن الترجمة الألمانية المعروفة بأنها الأشهر بين ترجمات القرآن الكريم، والتي ذاع صيتها بالدقة والأمانة والموضوعية قد جانبت الصواب في ترجمتها للآيات التي تتعارض مع الفكر والمعتقد، ولعلّ بيئة القساوسة والرهبان التي نشأ فيها المستشرقان بيرجشستراسر وبارت كانت ركيزة أساسية في هذا الفكر، بل وربما أن الموقف تجاه النص القرآني، ومشروع الترجمة قد تبنّته المؤسسات المعادية للإسلام، فخلت من الموضوعية والدقة.

---

[53] ينظر: هيباوي، الدراسات القرآنية في الاستشراق الألماني، ص:150.

[54] ينظر: بارت، محمد والقرآن، ص:176. وينظر: أبو ليلة، القرآن الكريم فن المنظور الاستشراقي، ص:39.

[55] مستشرق أكاديمي نمساوي/ ألماني، مولود سنة 1774م، ومتوفى سنة 1856م.

[56] مستشرقة ألمانية تعد من أشهر المستشرقين على المستوى الدولي، مولودة سنة 1922م، ومتوفاة سنة 2003م.

[57] ينظر: كاتارينا، ترجمة كتاب: جوتة والعالم العربي، ص:298.

الخاتمة وأبرز النتائج

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم عدد ما في الأرض والسموات، وعلى آله وأصحابه أجمعين إلى يوم الدين..

وبعد أن أكمل الباحثان هذه الدراسة توصلا إلى النتائج الآتية:

1- اتبع بيرجشستراسر في عرض آرائه منهج الألفاظ المؤثرة، وإسنادها إلى صدر الإسلام الأول، ليلفت نظر القارئ ويقوده إلى دائرة تشكيك وصراع ظاهرها فيه العسل، وباطنها فيه السم، فهو لا يثير الشبهة بصورة مباشرة كباقي المستشرقين، إنما يركّز على الأسلوب.

2- اتبع رودي بارت منهجين في عرض آرائه، ففي ترجمته للقرآن اجتهد في غالب المواضع إلى الدقّة مما أكسبه شهرة واسعة ونال الثناء، وفي مواضع محددة يترجم بخبث يوحي للقارئ بأنه خطأ طبيعي، وهو في الحقيقة خطر عظيم... أما المنهج الثاني فكان في كتابه (محمد والقرآن) فقد عمد إلى ليّ عنق النص القرآني بما يخدم سياق فكرته الباطلة.

3- بيّنت الدراسة أن المنهجين تقاربا في النشأة والتعليم والسفر والترحال، وتقاربا في الفترات الزمنية العلمية والحصول على الشهادات العليا، وتقاربا في تولي المناصب العلمية والإدارية في الجامعات، واجتمعا عند نقطة ثابتة، وهي الدعم المؤسسي، والسير على خطط مدروسة وبفترات زمنية.

التوصيات

- يوصي الباحثان المشتغلين بالدراسات الاستشراقية بضرورة التركيز على المدرسة الألمانية، من خلال المقارنة بين المنتمين إليها، وذلك للخروج من الحكم (الجاهز) بأنه استشراق منصف وغير عدائي، والوصول إلى حقيقة علمية حول هذه المدرسة.
- يوصي الباحثان بأن تتبنى إحدى الجامعات الإسلامية مشروعاً طلّابياً في الرسائل الجامعية، يتناول موضوع الاستشراق بحسب مدارسه، والمدرسة الألمانية على وجه الخصوص.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (1993م)، ***صحيح البخاري***، تحقيق: مصطفى ديب البغا، (ط5)، دمشق، دار ابن كثير، دار اليمامة.

بدوي، عبد الرحمن، (1993م)، ***موسوعة المستشرقين***، (ط3)، بيروت، دار العلم للملايين.

بيرجشستراسر، جوتهلف، (1982م)، ***أصول نقد النصوص ونشر الكتب***، تقديم: محمد حمدي البكري، (د.ط)، الرياض، دار المريخ للنشر.

بيرجشستراسر، جوتهلف، (1929م)، ***التطور النحوي للغة العربية***، تقديم: رمضان عبد التواب، (د.ط)، القاهرة، مطبعة السماح.

البيضاوي، عبد الله بن عمر، (1418هـ)، ***أنوار التنزيل وأسرار التأويل***، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (ط1)، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

جحا، ميشال، (2001م)، ***الاستشراق الألماني في القرن العشرين***، مجلة الاجتهاد، 13، 50-51.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، ***النشر في القراءات العشر***، تحقيق: علي محمد الضباع، (د.ط) (د.ت)، مصر، المطبعة التجارية الكبرى.

آل حميد، سعد، (د.ت)، ***أهداف الاستشراق ووسائله***، (د.ط)، السعودية، جامعة الملك سعود.

أبو حيان، محمد بن يوسف، (1420هـ)، ***البحر المحيط***، (د.ط)، بيروت، دار الفكر.

الداني، أبو عمرو، عثمان بن سعيد، (د.ت)، ***المقنع في رسم مصاحف الأمصار***، تحقيق:محمد الصادق قمحاوي، (د.ط)، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية.

دبوسي، سارة، (2022م)، ***الرسالة المحمدية وارتباطها بالقرآن الكريم في عيون رودي بارت***، مجلة دراسات استشراقية، عدد:32.

رودي بارت، (2009م)، ***محمد والقرآن***، ترجمة: رضوان السيد، (د.ط)، الإمارات، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم.

الزركلي، خير الدين بن محمود، (2002م)، ***الأعلام***، (ط15)، بيروت، دار العلم للملايين.

السباعي، مصطفى بن حسني، (د.ت)، ***الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم***، (د.ط)، عمّان، دار الوراق- وبيروت، المكتب الإسلامي.

شفيق، حسنين، (2010م)، ***سيكولوجية الإعلام: دراسات متطورة في علم النفس الإعلامي***، (د.ط)، القاهرة، دار فكر وفن للطباعة والنشر والتوزيع.

الطبري، محمد بن جرير، (د.ت)، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (د.ط)، مكة المكرمة، دار التربية والتراث.

أبو عبيد، القاسم بن سلّام، (1415هـ)، ***فضائل القرآن***، تحقيق: مروان العطية، وآخرون، (ط1)، دمشق- بيروت، دار ابن كثير.

العفاني، سيد حسين، (2006م)، ***وامحمداه إن شانئك هو الأبتر***، (ط1)، مصر، دار العفاني.

العقيقي، نجيب، (2006م)، ***المستشرقون***، (ط5)، مصر، دار المعارف، ج2.

الغزالي، مشتاق بشير حمود، (2002م)، ***تطور الاستشراق البريطاني في كتابة السيرة النبوية الشريفة***، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة بغداد.

قطاط، فريد، (2009م)، ***ترجمة رودي بارت لمعاني القرآن- دراسة تقويمية***، مجلة التنوير، 11، 105-139.

أبو ليلة، محمّد محمّد، (2002م)، القرآن الكريم في المنظور الاستشراقي، (د.ط)، مصر، دار النشر للجامعات.

محمّد، إسماعيل، (1998هـ)، ***الاستشراق بين الحقيقة والتضليل***، (ط1)، القاهرة، دار الكلمة للنشر والتوزيع.

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، (1955م)، ***صحيح مسلم***، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

منصوري، مسعود، (1995م)، ***تأملات في بعض مواطن القوة والضعف في ترجمة رودي بارت للقرآن الكريم***، مجلة ترجمان وحي، 8، 4.

المولى، قحطان عدنان بكر، (2020م)، ***القرآن الكريم في الفكر الاستشراقي***، مجلة دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، 47، 302.

مومزن، كاتارينا، (1995م) ***جولة والعالم العربي***، ترجمة: عدنان عباس علي، مراجعة: عبد الغفار مكاوي، مجلة عالم المعرفة، عدد 194.

النحاس، أبو جعفر، (1421هـ)، ***إعراب القرآن***، (ط1)، بيروت، دار الكتب العلمية.

النملة، علي بن إبراهيم، (1998م)، ***الاستشراق والدراسات الإسلامية***، (ط1)، الرياض، مكتبة التوبة.

نولدكه، تيودور، (2008م)، ***تاريخ القرآن***، تعديل: فريديريش شفالي، ترجمة: جورج تامر، (د.ط)، زوريخ– نيويورك، دار جورج ألمز.

النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف، (1347هـ)، ***المجموع شرح المهذب***، تحقيق: لجنة من العلماء، (د.ط)، القاهرة، إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة التضامن الأخوي.

هويدي، أحمد محمود، (2000م)، ***الاستشراق الألماني: تاريخه وواقعه و توجهاته المستقبلية***، (د.ط)، مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

هيباوي، عبد الملك، (2014م)، ***الدراسات القرآنية في الاستشراق الألماني***، مجلة التأويل، عدد1.

ثانياً: قائمة المراجع الأجنبية والمرومنة:

Abu Hayyan, Muhammad bin Yusuf, (1420 AH), ***Al-Bahr Al-Muheet*** (In Arabic), (n.d.), Beirut, Dar Al-Fikr.

Abu Laila, Muhammad Muhammad, (2002 AD), ***Al-Quran Al-Kareem fi Al-Manthur Al-Istishraqi*** (In Arabic), (n.d.), Egypt, Dar Al-Nashr lil-Jami'at.

Abu Ubaid, Al-Qasim bin Sallam, (1415 AH), ***Fada'il Al-Quran*** (In Arabic), Edited by: Marwan Al-Atiyyah et al., (1st Edition), Damascus-Beirut, Dar Ibn Kathir.

Al-Afani, Sayyid Hussein, (2006 AD), ***Wa Muhammadah In Sha'nik Huwa Al-Abtar*** (In Arabic), (1st Edition), Egypt, Dar Al-Afani.

Al-Baydawi, Abdullah bin Umar, (1418 AH), ***Anwar Al-Tanzil wa Asrar Al-Ta'weel*** (In Arabic), Edited by: Muhammad Abdul Rahman Al-Mar'ashli, (1st Edition), Beirut, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi.

Al-Bukhari, Abu Abdullah Muhammad bin Ismail, (1993 AD), ***Sahih Al-Bukhari*** (In Arabic), Edited by: Mustafa Dib Al-Bagha, (5th Edition), Damascus, Dar Ibn Kathir, Dar Al-Yamamah.

Al-Dani, Abu Amr, Uthman bin Sa'id, (n.d.), ***Al-Muqni' fi Rasmi Masahif Al-Amsar*** (In Arabic), Edited by: Muhammad Al-Sadiq Qamhawi, (n.d.), Cairo, Maktabat Al-Kuliyat Al-Azhariyya.

Al-Ghazali, Mushtaq Bashir Hamoud, (2002 AD), ***Tatawur Al-Istishraq Al-Baritani fi Kitabat Al-Sirah Al-Nabawiyyah Al-Sharifah*** (In Arabic), (Unpublished MA Thesis), University of Baghdad.

Al-Humaid, Sa'd, (n.d.), ***Ahdaf Al-Istishraq wa Wasailuh*** (In Arabic), (n.d.), Saudi Arabia, King Saud University.

Al-Jazari, Shams Al-Din Abu Al-Khair, ***Al-Nashr fi Al-Qira'at Al-Ashr*** (In Arabic), Edited by: Ali Muhammad Al-Dabba', (n.d.), (n.d.), Egypt, Al-Matba'ah Al-Tijariyyah Al-Kubra.

Al-Mawla, Qahtan Adnan Bakr, (2020 AD), ***Al-Quran Al-Kareem fi Al-Fikr Al-Istishraqi*** (In Arabic), Journal of Dirasat: Al-Ulum Al-Insaniyyah wa Al-Ijtima'iyyah, 47, 302.

Al-Nahhas, Abu Ja'far, (1421 AH), ***I'rab Al-Quran*** (In Arabic), (1st Edition), Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Al-Namlah, Ali bin Ibrahim, (1998 AD), ***Al-Istishraq wa Al-Dirasat Al-Islamiyyah*** (In Arabic), (1st Edition), Riyadh, Maktabat Al-Tawbah.

Al-Nawawi, Abu Zakariyya Yahya bin Sharaf, (1347 AH), ***Al-Majmu' Sharh Al-Muhadhab*** (In Arabic), Edited by: Committee of Scholars, (n.d.), Cairo, Idarat Al-Tiba'ah Al-Muniriyyah, Matba'at Al-Tadamun Al-Akhawi.

Al-Siba'i, Mustafa bin Husni, (n.d.), ***Al-Istishraq wa Al-Mustashriqun Ma Lahum wa Ma Alayhim*** (In Arabic), (n.d.), Amman, Dar Al-Warraq - Beirut, Al-Maktab Al-Islami.

Al-Tabari, Muhammad bin Jarir, (n.d.), ***Jami' Al-Bayan an Ta'weel Ay Al-Quran*** (In Arabic), (n.d.), Makkah Al-Mukarramah, Dar Al-Tarbiyah wa Al-Turath.

Al-Zarkali, Khayr Al-Din bin Mahmud, (2002 AD), ***Al-A'lam*** (In Arabic), (15th Edition), Beirut, Dar Al-Ilm lil-Malayin.

Badawi, Abdul Rahman, (1993 AD), ***Mawsu'at Al-Mustashriqin*** (In Arabic), (3rd Edition), Beirut, Dar Al-Ilm lil-Malayin.

Bergsträsser, Gotthelf, (1929 AD), ***Al-Tatawwur Al-Nahwi lil-Lughah Al-Arabiyyah*** (In Arabic), Introduced by: Ramadan Abdul Tawab, (n.d.), Cairo, Matba'at Al-Samah.

Bergsträsser, Gotthelf, (1982 AD), ***Usul Naqd Al-Nusus wa Nashr Al-Kutub*** (In Arabic), Introduced by: Muhammad Hamdi Al-Bakri, (n.d.), Riyadh, Dar Al-Marikh lil-Nashr.

Dabousi, Sarah, (2022 AD), ***Al-Risalah Al-Muhammadiyyah wa Irtibatiha bi Al-Quran Al-Kareem fi Uyun Rudi Bart*** (In Arabic), Journal of Dirasat Istishraqiyyah, 32.

Jaha, Michel, (2001 AD), ***Al-Istishraq Al-Almani fi Al-Qarn Al-Ishrin*** (In Arabic), Journal of Al-Ijtihad, 13, 50-51.

Muhammad, Ismail, (1419 AH), ***Al-Istishraq bayn Al-Haqiqah wa Al-Tadleel*** (In Arabic), (1st Edition), Cairo, Dar Al-Kalimah lil-Nashr wa Al-Tawzi'.

Muslim, Abu Al-Husayn Muslim bin Al-Hajjaj Al-Qushayri, (1955 AD), ***Sahih Muslim*** (In Arabic), Edited by: Muhammad Fuad Abdul Baqi, (n.d.), Cairo, Matba'at Isa Al-Babi Al-Halabi wa Sharikahu.

Noldeke, Theodor, (2008 AD), ***Tarikh Al-Quran*** (In Arabic), Revised by: Friedrich Schwally, Translated by: George Tamer, (n.d.), Zurich-New York, Dar George Olms.

Qatat, Farid, (2009 AD), ***Tarjamat Rudi Bart li Ma'ani Al-Quran - Dirasah Taqwimiyyah*** (In Arabic), Journal of Al-Tanweer, 11, 105-139.

Rudi Bart, (2009 CE), ***Muhammad wa Al-Quran*** (In Arabic), Translated by: Ridwan Al-Sayyid, (n.d.), UAE, Mu'assasat Muhammad bin Rashid Al Maktoum.

Shafiq, Husnayn, (2010 AD), ***Sikulujiyyat Al-I'lam: Dirasat Mutatawwirah fi Ilm Al-Nafs Al-I'lami*** (In Arabic), (n.d.), Cairo, Dar Fikr wa Fann lil-Tiba'ah wa Al-Nashr wa Al-Tawzi'.